

## إشكالية التحيز في العلوم الإنسانية مقاربة نقدية لفكر عبد الوهاب المسيري\*

الباحث: عبد المالك لحسن

جامعة وهران 2

### Abstract:

Scholars in Social sciences and humanities assume that these sciences can reach the objective facts and can formulate the theories and rules of humans, to accurate and fair laws when the researchers are committed to a serious strict rules and methodological mechanisms characterized by impartiality, objectivity and neutrality. The researchers become just a mirror reflecting the realities of the universe and existence as a reflection of things in mirror.

**Keywords:** Social sciences, humanities, science, theory, rules, methodology, objectivity, scientific research.

يفترض المشتغلون بالدراسات الاجتماعية والإنسانية أنه بمقدور هذه العلوم الإمساك بالحقائق العلمية الموضوعية، والوصول إلى صياغة قوانين دقيقة ومنصفة، متى التزم الباحث الإنساني بمجموعة من القواعد والآليات المنهجية الصارمة، التي تتصف بالتجرد والنزاهة والحياد، حيث يكون الباحث مجرد مرآة تتعكس فيه حقائق الكون والوجود كانعكاس الأشياء في صفحة المرآة. لكن الواقع يؤكد أن المناهج الموضوعية والآليات المتبعة في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية المعاصرة، ليست مجرد أبنية نسقية فارغة أو آلة صماء تعصم فكر الباحث من الوقوع في الزلل، بل هي في حقيقتها تحمل في كيانها وأحشائها أبعاد خفية ورغبات وميول نفسية دفينّة وغائرة، تعبر عن رؤى الإنسان الباحث وتعكس قيمه ومعتقداته وتحيزاته الثقافية والمعرفية والحضارية. من هنا جاءت قضية التحيز، كما عالجها الدكتور عبد الوهاب المسيري، لتكون قضية كاشفة عن مضادات الموضوعية "المتوهمة" في العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربية، وتأسيس التحيز كقفل معرفي

\* - قدم هذا المقال كداخلة ضمن أعمال الملتقى الدولي الثاني حول سؤال المنهج في الفلسفة والعلوم الإنسانية، المنظم من طرف مخبر الفلسفة وتاريخها بجامعة وهران 2، يومي 21 و22 جوان 2014.

نقدي، ينصرف إلى تحديد عناصر "التحيز" في المناهج الاجتماعية والإنسانية، من أجل كشفها وتعربة آلياتها وبواعثها الكامنة، لنميز الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح، والحقيقي من المزيف، والخاص من العام.

لقد لاحظ د. المسيري أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر، ومع انتصار وانتشار الإنسان الغربي وقيامه بتدويل نماذجه الحضارية والمعرفية، من خلال إنجازاته العلمية والتقنية وهيمنته العسكرية والاقتصادية، بدأت الكثير من شعوب العالم تبني تحيزات الإنسان الغربي، أي اعتناق مسلماته ورؤاه السياسية والمعرفية ومعاييرها القيمية والسلوكية، وتخلت بالمقابل عن تحيزاتنا الخاصة، ولعلنا نحن العرب أكثر شعوب المعمورة تبعية وانصياع لكل ما هو غربي، نظراً لتخلفنا الحضاري والمعرفي الراهن، حتى أننا لا نتوقف عن ترديد مقولات الغرب وتوظيف مصطلحاته ومفاهيمه، فإذا قال الغرب "علم النفس التنموي"، قلنا "علم النفس التنموي"، ولو نادى "علم النفس التفكيكي" سارعنا إلى المناداة بـ "علم النفس التفكيكي"، وهكذا دواليك... وبالتالي باتت الحاجة ماسة - كما يقول المسيري - إلى البدء من نقطة، ولتكن وضع أسس علم جديد له آلياته ومناهجه ومرجعياته، يتعامل مع قضية التحيز هذه، ويفتح باب الاجتهاد بخصوصها. والدكتور عبد الوهاب المسيري هو المفكر العربي الذي اهتم بإشكالية التحيز اهتماماً ملحوظاً غطى أكثر من ربع القرن أو يزيد، من مسيرته العلمية، وقد بدأت فكرة التحيز تلقى انتباه المسيري أثناء كتابته لموسوعته الشهيرة عن "اليهود واليهودية والصهيونية"، وهو يشير إلى أن الاحساس بهذه الإشكالية بدأ يتعاظم عنده أواخر السبعينات، وقد شاركه هذا الاحساس نخبة من الباحثين الذين شكل بمعيتهم حلقة دراسية عن التحيز، حينما انتدب للتدريس بجامعة الملك سعود بالرياض، وقد تخض عن هذه الحلقة العلمية اصدار كتاب موسوعي ضخم تحت عنوان: "إشكالية التحيز - رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد"، ثم تقرر عقد مؤتمر عن الموضوع تحت إشراف المعهد العالمي للفكر الإسلامي ونقابة المهندسين سنة (1992)، وصدرت بحوث المؤتمر في كتاب ضخم من مجلدين استهلما المسيري بمقدمة حملت عنواناً لافتاً هو "فقه التحيز".

لقد غدت إشكالية التحيز علامة بارزة على فكر الدكتور المسيري تقول الباحثة فريال جبور غزول: "لا يمكن أن يذكر التحيز ولا يذكر - حاضراً أو غائباً - عبد الوهاب المسيري، لأن جزءاً من شروعه هو دراسة التحيز"<sup>1</sup>.

ومن هنا فنحن إذ نفتح نافذة صغيرة نطل من خلالها على هذه الإشكالية الواسعة المترامية الأطراف والمتشابكة العناصر، إنما نحاول مقارنة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- كيف قدم لنا المسيري تصوره عن إشكالية التحيز؟ وما هي مبرراته وأنواعه؟

- ما هي سمات التحيز الغربي في العلوم الاجتماعية والإنسانية؟ وما الآليات التي يقترحها المسييري لتجاوز التحيز؟

- ما طبيعة النموذج البديل الذي قدمه المسييري؟

- ما الملاحظات النقدية على فكرة التحيز عند المسييري؟

المسييري في سطور: نبذة مختصرة

الدكتور عبد الوهاب المسييري مفكر مصري معاصر، ولد سنة 1938م، بمدينة دمنهور، حصل على الماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة كولومبيا - الولايات المتحدة الأمريكية - ، وعلى الدكتوراه من جامعة رتجز سنة 1969م.

صدر للمسييري مجموعة متميزة من الأبحاث والدراسات الأدبية والفلسفية باللغتين العربية والإنجليزية، يقع في مقدمتها وعلى رأسها موسوعته الشهيرة "اليهود واليهودية والصهيونية" التي أخرجها في ثمانية مجلدات ضخمة واستغرق في تأليفها أزيد من ربع القرن، حيث تناول فيها الجوانب المتعلقة بالمسألة اليهودية، وقدم فيها ترسانة من المفاهيم والمصطلحات التفكيكية والتفسيرية المبتكرة، التي بددت الكثير من الأوهام، وغيرت العديد من التصورات والمواقف المغلوطة حيال ظواهر اليهود و اليهودية والصهيونية، كما عالج المسييري قضايا الفكر العربي والغربي برؤية نقدية فذة، ونذكر من مؤلفاته الرائدة في هذا المجال: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة في مجلدين، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، الحداثة وما بعد الحداثة، الفردوس الأرضي، اليد الخفية، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته.. الخ، كما كان للمسييري تجارب في الرواية والأشعار وقصص الأطفال.

توفي الدكتور المسييري في الثالث من يوليو (جويلية) عام 2008م، بعد صراع مرير مع المرض.

التحيز: التعريف والمنطلقات.

أ - التحيز في اللغة:

تشير كلمة "التحيز" في معاجم اللغة العربية، إلى معان عديدة، تبدو متقاربة أحيانا ومتباعدة أحيانا أخرى، فالتحيز مصدر «حوز»، والحوز: الجمع، وكل من ضم إلى نفسه شيئا فقد حازه حوزاً واحتازه أيضاً<sup>2</sup>. وفي المعجم الوسيط ورد التحيز بمعنى: "الانضمام والموافقة في الرأي، «فانحاز: انضم واجتمع وتحاوز، أي انحاز كل فريق عن الآخر، والانحياز الانضمام"، وسياسة عدم الانحياز: عدم الانضمام إلى فريق دون فريق<sup>3</sup>، وفي المنجد: "تحيز فلان: انضم إليه موافقاً إياه في الرأي، والتحيز: محاباة شخص أو مناصرة رأي على حساب رأي آخر دون مبالاة بالحق وبالعدالة"<sup>4</sup>.

أما لسان العرب لابن منظور فقد ذكر لنا "التحيز أو التحوز: هو التنحي، فالتحوز على وزن التفعّل، والتحيز على وزن التفعيل وأصلها تحيوز، فقلبت الواو ياءً لمجاورة الياء، وادغمت فيها، وتحوز له

عن فراشه تنحى<sup>5</sup>. وفي هذا السياق يشير الدكتور علي جمعة "أن كلمة تحيز فيها معنى الطلب، أي طلب حيز، والحيز: الحد، وقد قسم الأقدمون الموجود إلى متحيز وغير متحيز، فالمتحيز ما شغل حيزاً في الفراغ كالجوهر والجسم، وغير المتحيز ما لم يشغل حيزاً في الفراغ، بل يحتاج إلى غيره ليقوم به كالأعراض، والألوان، والمعاني كالفقر، والغنى والمرض والصحة، فالمتحيز بهذا المعنى ماله حيز واحد، وهي صيغة تصلح لأن تكون اسم مكان أو اسم فاعل، وعلى ذلك فهو مكان محدد بسور يميزه عن غيره"<sup>6</sup>، وفي ذلك إشارة إلى أن التحيز يفيد معنى حصر الشخص نفسه في حيز ومكان مسور بسور متميز عن غيره، وهذا هو المعنى الحسي للتحيز، أما المعنى المجازي أو الفكري، فيعني "تبني موقف أو مناصرة شخص والدفاع عنه".

والشاهد القرآني الدال هذا المعنى الذي اشرنا إليه سابقاً، ورد في قوله تعالى {أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير} - الآية 15.16 سورة الانفال -  
يفسر عماد الدين أبي الفداء المشهور بابن كثير هذه الآية الكريمة قائلاً: "«أو متحيزاً إلى فئة»، "أي فر من هنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونوه، والمتحيز: الفار إلى النبي وأصحابه"<sup>7</sup>، وهو المعنى نفسه الذي جاءت به جل تفاسير القرآن الكريم.

إجمالاً يمكن القول أن الجامع والقاسم المشترك بين هذه المفردات والمعاني التي وردتها بها معاجم اللغة وتفسير القرآن الكريم لتلخص في القول: بأن التحيز يفيد معنى الانتقال من شيء سواء كان حسيّاً (مكاناً)، أو معنوياً (موقف أو رأي وانتماء)، إلى شيء آخر.  
ب - التحيز اصطلاحاً:

ورد التحيز في دلالته الاصطلاحية عند الدكتور عبد الوهاب المسيري، وذلك في مقدمة كتاب «إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد» - والكتاب دراسة موسوعية من العيار الثقيل شارك في تأليفه قرابة خمسين باحثاً وكتاباً -، ففي هذه المقدمة الموسومة بـ "فقه التحيز" ينطلق المسيري في تعريفه للتحيز من الدلالة اللغوية التي حصرها في معنى "الانضمام والموافقة في الرأي وتبني رؤية ما، مما يعني بالمقابل رفض الآراء الأخرى"<sup>8</sup>، أما التعريف الاصطلاحي فيقول عنه المسيري - بعد أن ضرب لنا مجموعة من الأمثلة الجزئية - «أن المناهج التي يتم استخدامها في الوقت الحاضر في العلوم العربية والإنسانية، ليست محايدة تماماً، بل أنها تعبر عن مجموعة من القيم التي تحدد مجال الرؤية ومسار البحث وتقرر مسبقاً كثيراً من النتائج، وهو ما نطلق عليه اصطلاح التحيز، أي وجود مجموعة من القيم الكامنة المستترة في النماذج المعرفية والوسائل البحثية التي توجه الباحث دون أن يشعر بها»<sup>9</sup>.

الملاحظ على هذه الطريقة في التعريف أولاً أنها تنتقل من الخاص إلى العام ومن البسيط إلى المركب (إيراد الأمثلة والتشبيهات)، وثانياً أنها لم تكن جامعة مانعة - كما يقول المناطقة - فالتحيز عند المسيري مفهوم مركب ومجازي لا ينحصر في معنى دقيق أو محدد، وليس ذلك دليلاً على العجز أو عدم القدرة على التعريف، بقدر ما هو خيار انتهجه المسيري في تعريف التحيز تعريفاً فضفاضاً يتيح الباب أمام الغير للإبداع والمساهمة في تشكيل دلالة التحيز، إذ أن كل محاولة لتعريف الشيء تعريفاً دقيقاً وصارماً من شأنها أن تؤدي إلى قتل ماهيته وحصر دلالاته وتضييق نطاقه، وهذا ما لا يرتضيه المسيري لمفهوم التحيز.

يمكن القول أن صياغة المسيري لمفهوم التحيز - بهذا المعنى - تدرج ضمن ما يصطلح عليه بـ "التعريف بالسلب"<sup>10</sup>، أي سلب صفة الحياد والتجرد والبراءة عن المنهج، وإثبات صفة التحيز، لأنه لا شيء بريء ولا شيء حيادي وموضوعي بشكل مطلق، فالتحيز عند المسيري ليس مجرد وصف لحالة المعرفة الإنسانية ولوضعية المناهج المتبعة في العلوم فحسب. بل هو معطى إنساني عام نجده في كل مظاهر الحياة، ففي الجواب عن سؤال: ما هو التحيز؟ يصرح المسيري قائلاً: "تكون حياة المرء من مجموعة من الأفعال والسلوكيات والكلمات والحوادث وآلاف المعطيات الحسية الأخرى [...]"، وكل شيء له دلالة، ونتيجة عملية اختيار (واعية أو غير واعية) يتم من خلالها تبني مجموعة من القيم واستبعاد مجموعة أخرى من القيم"<sup>11</sup>، أي أنه لا حياد أو تجرد في كل ما يقوم به أو يستخدمه الإنسان من أدوات أو مناهج أو مفاهيم أو مقولات.

والتحيز في الأخير، ليس مصطلحاً يضاف إلى ترسانة المصطلحات التي عُرِف بها المسيري فحسب، بل هو أكثر من ذلك دالاً على مشروع فكري ومعبراً عن رؤية منهجية نقدية تتعامل مع واقع المعرفة الإنسانية المعاصرة، تقتضي هذه الرؤية وهذا التعامل وعياً منهجياً ونقدياً بما في المناهج والنماذج الغربية السائدة اليوم، من أبعاد قيمية ومواقف ايديولوجية وعقدية مخبوءة ومستترة.

ومن أجل ذلك يدعو المسيري إلى تأسيس ما يسميه "حقل معرفي جديد"، ينصرف إلى تحديد عناصر التحيز الغربي في المناهج الاجتماعية والإنسانية، ومحاولة اقتراح مناهج وأدوات وقيم معرفية بديلة تتسم بقسط أكبر من الاستقلالية عن نظيرتها الغربية، يقول المسيري في هذا الصدد: "لماذا لا نضع أسس علم جديد له آلياته ومناهجه ومرجعياته، يتعامل مع قضية التحيز"<sup>12</sup>، ويطلق المسيري على هذا الحقل المعرفي الجديد "فقه التحيز"، بدلاً من "علم التحيز"، لأن كلمة "فقه" تستدعي - وفق تصوره - البعد الاجتهادي، الاحتمالي والإبداعي، خلافاً لكلمة "علم" التي توحى بالدقة، والوثوقية واليقين.

وفي إشارة إلى أهمية وقيمة تأسيس "فقه التحيز" يقول الباحث هشام جعفر في مقاله الموسومة بـ "التحيز أعلى مراحل التحرر المعرفي" يقول: "تأسيس فقه التحيز هو انتقال بالفكر العربي من حالة

السيولة التي كان يدرك بها الحضارة الغربية في شقها المعرفي، إلى مرحلة التأسيس التي تؤدي بنا إلى نمسك بالميزان المعرفي، ثم نستورد ما هو موزون، لنقوم نحن بوزنه، وعلى هذا فإن فقه التحيز ليس ضد التفاعل مع الوافد، ولكنه ضد استيراد الميزان لنزن به الأنساق المعرفية"<sup>13</sup>.

### ج - التحيز وإشكالية الذاتية والموضوعية:

عالج المسيري قضية التحيز وموقعه من إشكالية الذاتية والموضوعية، في العديد من مؤلفاته ومقالاته، وذلك نظراً لما قد يتوهمه البعض من أن التحيز مرادف للذاتية ومناقض للموضوعية. لكن المسيري يرى أن التحيز هو محاولة لتجاوز ثنائية الذاتية والموضوعية المرتبطة بالمرجعية المادية الغربية التي تفصل بين الذات والموضوع (التركز على الذات في مقابل التركيز على الموضوع)، وهو ما يسميه المسيري "الاستقطاب الحاد بين الذاتية والموضوعية"<sup>14</sup> يقول عن التحيز: "لا يؤدي التحيز إلى السقوط في خيلاء الموضوعية ولا في هوة الذاتية، إذ أن إدراك الباحث للتحيز وإدراكه لإمكانية اكتشافه سيجعله يبحث عن مناهج جديدة لتناول الواقع"، وبدلاً من هذا الاستقطاب يقترح المسيري أن نستخدم "أكثر تفسيرية وأقل تفسيرية" يقول: "ونحن نفضل استخدام هاتين العبارتين بدلاً من عبارتي "موضوعي" و"ذاتي"، لأنهما تؤكدان دور العقل الإنساني وتستعيدان البعد الاجتهادي غير النهائي في عملية رصد الواقع، على عكس "موضوعي" و"ذاتي" اللتين تدوران في إطار الموضوعية السلبية المتلقية"<sup>15</sup>.

### قواعد التحيز:

في مسعى لتبرير الاشتغال بالتحيز وإدراكه، يضع المسيري للتحيز قاعدتين أساسيتين هما:

#### أ - القاعدة الأولى: التحيز حتمي

التحيز حتمي وحتميته تأتي من كونه مرتبطاً ببنية العقل الإنساني ذاتها، فالعقل الإنساني ليس آلة صماء أو صفحة بيضاء تلتقي الوقائع بدقة شديدة أشبه بالكاميرا الفوتوغرافية التي تلتقط الواقع دون تحوير أو تعديل، بل أن العقل الإنساني فعال ومبدع وحر يتمتع بقدر من الاستقلالية، "ويدرك الواقع من خلال نموذج معين، فيستبعد بعض التفاصيل ويبقي بعضها الآخر، ويضخم بعض ما تبقى ويمنحه مركزية"<sup>16</sup>، وبالتالي التحيز نابع من صميم المعطى الإنساني، أي بوجوده ككائن غير طبيعي، أي كائن ثقافي، فكل ما هو إنساني متحيز وكل ما هو ثقافي متحيز بالضرورة.

#### ب - القاعدة الثانية: التحيز قد يكون حتمياً، ولكنه ليس نهائياً

يؤكد المسيري على أن حتمية التحيز، لا تعني مطلقاً بأنه نهائي بحيث لا يمكن التخلص منه، أو انه عيب أو نقیصة، بل على العكس من ذلك تماماً، يمكن تجريده من معانيه السلبية التي تفيد معنى الإقصاء والاحتقار للغير، ليكون التحيز دليلاً على التفرد والخصوصية، ومؤشراً على التنوع والتعدد

الإنساني الذي يفتح الباب أمام البشرية من أجل التعارف والتواصل في إطار الإنسانية المشتركة، ومن هنا يمكن للإنسان - والحالة هذه - أن يعلن صراحة عن تحيزاته الشخصية دون حرجاً أو مواربة، ويضرب لنا المسيري مثلاً عن ذلك حيث يعلن هو نفسه عن تحيزاته وذلك في كتابه "العالم من منظور غربي" فيقول: "إن دراساته بما فيها دراسته عن التحيز تنطلق من الإيمان بأن ثمة فارقا جوهريا كيفيا بين عالم الإنسان المركب المحفوف بالأسرار، وعالم الطبيعة/ الأشياء والمادة، وأن الحيز الإنساني مختلف عن الطبيعي المادي، مستقل عنه، وأن الإنسان يوجد في الطبيعة ولكنه ليس جزءا عضويا فيها، لأن فيه من الخصائص ما يجعله قادراً على تجاوزها"<sup>17</sup>.

أنواع التحيز وأنماطه:

التحيز عند المسيري ليس شكلاً أو نمطاً واحداً وأوحد، بل أن له أنواع نذكر منها:

- 1- هناك تحيز للحق: وهو أن يخضع الإنسان ذاته وأحكامه للحق الذي يقع خارجه، أي أن يتحيز للعدل، وبالتالي يعتقد أن أحكامه ليست نهائية وأنه يمكنه أن يتخلى عنها متى تبين له خطأها.
- 2 - هناك تحيز للباطل: وهو عندما يتحيز الإنسان إلى ذاته فيجعل منها المرجعية النهائية والوحيدة.
- 3 - هناك تحيز واعي واضح: وهو حينما يتحيز الإنسان إلى رؤية ما أو أيديولوجيا عن وعي فينظر إلى العالم من خلالها.

4 - هناك تحيز غير واعي كامن: وهو حين يستبطن المرء منظومة معرفية بكل أولوياتها وينظر للعالم من خلالها دون إدراك ووعي منه.

- 5- هناك تحيز جزئي وكلي: والتحيز الجزئي يتمثل في تبني عنصر أو نمط من منظومة أو نموذج، أما الكلي فهو أن يتحيز الباحث لكل جوانب المنظومة أو النموذج بحلوه ومره وخيره وشره.
- 6 - هناك التحيز الحاد وغير الحاد: فالتحيز الحاد الذي يكون بارزاً وبالتالي يسهل التعرف عليه، كما هو الحال في الأدب الواقعي الاشتراكي السوفياتي، في حين التحيز غير الحاد فهو يكون بتبني موقف أو رؤية مع إدراك نقائصها.

7 - هناك تحيز داخل التحيز: أي حين يتبنى الباحث رؤية معينة محددة داخل نموذج معرفي متكامل حيث يركز على أفكار بعينها دون غيرها داخل المنظومة.

التحيز للنموذج الحضاري الغربي:

يعتبر د. المسيري إن من أشد أشكال التحيز وأكثرها شيوعاً وتأثيراً في العالم، هو التحيز للنموذج الحضاري الغربي، فمن خلال بعض الأمثلة الواقعية التي تعكس ولع الكثير منا بالنماذج الغربية سواء ما تعلق منها بالموضة أو الديكور والعمران وغيرها، يستنتج المسيري أننا تركنا تراثنا وتبنينا تراث الآخر بكفاءة عالية، والتمننا منتجاتهم الحضارية، ووضعناها في بيئتنا التي نتصارع معها فكا "كالمبت لا

أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى"<sup>18</sup>، ونتيجة لطبيعة النموذج الحضاري الغربي الذي يتسم بالبساطة والعقلانية والنفعية والمادية، ونظراً لانتصاراته المعرفية والعسكرية والتقنية، أصبحت محاولة اللحاق بالغرب هي جوهر جميع المشاريع النهضوية العربية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ولم نقم بالتالي بأي عملية نقدية إبداعية واعية لتراثنا وتراثهم.

إن هيمنة النموذج الحضاري الغربي لا يجب أن تلهينا عن إدراك تحيزاته الكامنة والخطيرة، وهو ما دفع بالمسيري إلى تحديد أهم عناصر التحيز في النموذج الغربي فذكر منها، أنه من حيث طبيعته نموذج عقلائي نفعي مادي، وهو بذلك "متحيز للطبيعي المادي على حساب الإنساني وغير المادي، وهو نموذج متحيز للعام على حساب الخاص، وللمحسوس والكمي والبسيط على حساب غير المحسوس والكمي والمركب"<sup>19</sup>، وهو كذلك متحيز للموضوعي على حساب الذاتي، وهذه التحيزات كلها صادرة عن الإيمان بالواحدية المادية التي هي تعبر عن رؤية كلية ناجمة عن تصفية للثنائيات وعلى رأسها ثنائية الخالق والمخلوق.

### آليات تجاوز التحيز:

وضع د. المسيري آليات من شأنها تجاوز معضلة التحيز في العلوم والمعارف الانسانية ذكر منها:

#### أولاً: إدراك حتمية التحيز وضرورة النقد الكلي

فإدراك حتمية التحيز هو أول خطوة لتجاوزه، فإذا ادركنا أن العلوم الانسانية على مستوى الممارسة مهما بلغت من التجرد أو الموضوعية درجة عالية، فإنها تحوي في باطنها تحيزات أصحابها سواء الفلسفية أو العقدية، ولذلك فإنه ينبغي الحذر من تلك التحيزات والعمل على نقد المناهج وتطبيقاتها .

#### ثانياً: توضيح نقائص النموذج المعرفي الغربي

من أجل التحرر من قبضة النموذج و هيمنته يجب دراسة جوانب القصور والضعف الكامنة فيه، فالنموذج الغربي ليس كله إنجازات وانتصارات بل فيه إخفاقات وانكسارات بدت ملاحظتها تظهر في المجتمعات الغربية ولا يتم هذا كما يقول المسيري إلا بدراسة أزمة الحضارة و المناهج الغربية.

#### ثالثاً: نسبية الغرب

النقد الذي ينبغي أن يمارس على النموذج الغربي ليس الهدف منه الفضح والتفكيك، بل هي عملية تهدف إلى الفهم المتعمق الذي يمكننا من فرز محتويات الترسنة المعرفية الغربية و عزل ما هو خاص عما يصلح ليكون عاماً وعالمياً يعبر عن الإنسانية المشتركة، وبالمقابل إبراز خصوصيات الحضارة الغربية .

#### رابعاً: الانفتاح على العالم

لابد من الانفتاح على ثقافات العالم المتنوعة ، و عدم الإكتفاء بالنموذج الحضاري الغربي، فإلى جانب الحضارة الغربية و هناك حضارات شرقية و ثقافات إفريقية و أمريكية يجب الانفتاح عليها و الاستفادة منها .

### سمات النموذج البديل:

يقوم النموذج البديل الذي يقترحه المسيري، على مجموعة من الأسس والمنطلقات، يمكن أن نذكر منها:

- يرتكز هذا النموذج على الخصوصيات الحضارية لأمتنا، فهو نموذج نابع من تراثنا الحضاري الإسلامي ومستند إلى المرجعية الدينية ( القرآن والسنة).
- ينطلق من الإنسان وينتصر لمركزيته وريادته على الطبيعة.
- هو نموذج توليدي غير مادي وغير تراكمي.
- نموذج غير اختزالي ولا تصفية فيه للثنائيات سواء ثنائية الطبيعي/الانساني أو الخالق، المخلوق.
- نموذج يرفض الواحدية السببية، ويؤمن بالتعددية والتنوع والنسبية.
- هذه الأسس جميعاً "هي اعتراف بوجود اللامحدود أو المطلق، وهي تعني أن الظواهر الإنسانية والطبيعية تحوي بداخلها قدراً من القداسة أو الحرمه، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالإيمان بمطلق متجاوز للمادة وللكون، هو في الرؤية الإسلامية (الله)<sup>20</sup>، الذي ينفرد بالوحدانية وهو الذي يجسد ما يسميه المسيري "المرجعية النهائية المتجاوزة"<sup>21</sup>، في مقابل المرجعية المادية الكامنة التي لا تؤمن بوجود إله.

ومن البشائر التي يحملها هذا النموذج البديل، هو الوصول إلى وضع مصطلحات بديلة نابعة من هذا النموذج وليست مستوردة، وإبداع نماذج تحليلية تتجاوز الواحدية المادية.

### نقد إشكالية التحيز:

• ترتب عن فكرة التحيز التي أثارها المسيري عدد من الدراسات والأبحاث التي حاولت توظيف هذه الفكرة في الكثير من مجالات المعرفة الإنسانية سواء في الأدب أو الفن والعمارة أو في العلوم الطبيعية والإنسانية، ويشير هذا الاقبال على التحيز من طرف الباحثين والدارسين - يشير - إلى قيمة وأهمية النظر إلى المعرفة مهما كانت طبيعتها من خلال منظار التحيز. لكن في المقابل هناك الكثير من الردود التي عاجلت مفهوم التحيز معالجة نقدية، فالدكتور أبو يعرب المرزوقي له وجهة نظر مغايرة عاجلها بعمق فلسفي في موطنين على الأقل هما: "إسلامية المعرفة، رؤية مغايرة، مداخلة مع د. لؤي صافي" و"بين التعيين والتحيز مقاصد المعرفة ومستويات الوجود"، لقد صرح المرزوقي " انه لا تحيز في العلم"<sup>22</sup>. ويرى الباحث عبد الرزاق بلعقروز "أن هناك مبالغة بالمعنى المعرفي في إرجاع جميع الفلسفات

بخاصة الغربية وانتاجها الفني، بما في ذلك الاتجاهات المثالية والروحية إلى المرجعية المادية أو النموذج المعرفي المادي الكامن [٢٣] ويعتقد بلعقروز أن هذه المقاربة في القراءة هي من مخلفات الإرث الماركسي الذي اعتنقه المسيري رداً من الزمن. في حين تعتقد الباحثة رغداء زيدان ان هناك تناقض في قول المسيري أن التحيز حتمي، وفي الوقت نفسه يمكن تجاوزه، لأنه إذا كان حتمي فإنه لا يمكن تجاوزه".

### الخاتمة:

على الرغم من بعض الملاحظات النقدية والتحفظات المنهجية والمعرفية على إشكالية التحيز كما طرحها الدكتور عبد الوهاب المسيري، فإنها تبقى ذات قيمة علمية معتبرة، كما تشكل مشروع رؤية نقدية تعبر عن اصالة في الطرح والمعالجة، ورغبة في اعلان الاستقلال المعرفي والمنهجي عن الآخر، وقد اشار المسيري إلى أن الهدف من طرح إشكالية التحيز ليس الغرض منه التقليل من القيمة الإنسانية لإبداعات الفكر الغربي، وإنما الغرض منه هو إزاحة النموذج الغربي عن مركزيته المطلقة والنظر إليه كتشكيل حضاري ضمن تشكيلات إنسانية عالمية، وبالتالي التعامل معه بروية نقدية لا تقبل كل ما ينتجه بقضه وقضيضه وبحلوه ومره.

ويبقى علينا في الأخير أن نقول بأن إشكالية التحيز وما ترتب عنها من قضايا وما أثارته من تساؤلات وانتقادات، لا تزال إشكالية مفتوحة على مزيد من الرؤى والإسهامات والاجتهادات الفكرية والفلسفية التي من شأنها اضاءة المناطق التي لا تزال مجهولة في هذه الإشكالية.

### المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أ- المصادر:

- 1- جمعة، علي، كلمة في التحيز، إشكالية التحيز - محوري مشكلة المصطلح والأدب والنقد، تحرير عبد الوهاب المسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط 1 1995.
- 2- المسيري، عبد الوهاب، إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهد - المقدمة فقه التحيز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط 3، 1996.
- 3- المسيري، عبد الوهاب، العالم من منظور غربي، سلسلة كتاب الهلال، القاهرة، د. ت.
- 4- المسيري، عبد الوهاب، العلانية الجزئية والعلانية الشاملة، مج 2، ار الشروق، ط 1، 2002.
- 5- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، دار الشروق، مصر، ط 1، 1999.

ب- المراجع:

- 1- بلعقروزي، عبد الرزاق، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
- 2- جعفر، هشام، فقه التحيز، أعلى مراحل التحرر المعرفي، في عالم عبد الوهاب المسيري، مج 2، دار الشروق، مصر، ط1، 2004.
- ج- التفاسير والمعاجم:
  - 1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 4، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2004.
  - 2- ابن منظور، لسان العرب، مج 3، دار الصبح، بيروت، ط1، 2006.
  - 3- حموي صبحي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار الشروق، بيروت، ط2، 2001.
  - 4- مرعشلي نديم، مرعشلي أسامة، الصّحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، ط1، 1974.
  - 5- الهواري صلاح الدين، المعجم الوسيط، دار البحار، بيروت، د ط، د س.
- د- الدوريات والمجلات:
  - 1- مرزاق، أحمد، مفهوم التحيز دراسة في بعض تحيزات الأستاذ المسيري، مجلة إسلامية المعرفة، فيرجينيا، العدد (53)، السنة الرابعة عشرة، 2008.

## الإحالات:

- <sup>1</sup> مرزاق، أحمد، مفهوم التحيز دراسة في بعض تحيزات الأستاذ المسيري، مجلة إسلامية المعرفة، فيرجينيا، العدد (53)، السنة الرابعة عشرة، 2008، ص 69.
- <sup>2</sup> نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، الصّحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، ط1، 1974، ص 314.
- <sup>3</sup> صلاح الدين الهواري، المعجم الوسيط، دار البحار، بيروت، د ط، د س، ص 401.
- <sup>4</sup> صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار الشروق، بيروت، ط2، 2001، ص 344.
- <sup>5</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 3، دار الصبح، بيروت، ط1، 2006، ص 366.
- <sup>6</sup> جمعة علي، كلمة في التحيز، إشكالية التحيز - محوري مشكلة المصطلح والأدب والنقد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1 1995، ص 17.
- <sup>7</sup> ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، مج 4، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2004، ص 15.
- <sup>8</sup> المسيري، عبد الوهاب، إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهد - المقدمة فقه التحيز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط 3، 1996، ص 33.
- <sup>9</sup> المسيري، عبد الوهاب، المصدر نفسه، ص 19.
- <sup>10</sup> مرزاق، أحمد، مفهوم التحيز - دراسة في بعض تحيزات الأستاذ المسيري، مرجع سابق، ص 78.
- <sup>11</sup> المسيري، عبد الوهاب، إشكالية التحيز، فقه التحيز، مصدر سابق، ص 26.
- <sup>12</sup> المسيري، عبد الوهاب، مصدر سابق، ص 18.
- <sup>13</sup> جعفر، هشام، فقه التحيز، أعلى مراحل التحرر المعرفي، في عالم عبد الوهاب المسيري، مج 2، دار الشروق، مصر، ط1، 2004، ص 91.
- <sup>14</sup> المسيري، عبد الوهاب،
- <sup>15</sup> المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، دار الشروق، مصر، ط1، 1999، ص 19.
- <sup>16</sup> المسيري، عبد الوهاب، إشكالية التحيز، فقه التحيز، مصدر سابق، ص 33.

- <sup>17</sup> المسيري، عبد الوهاب، العالم من منظور غربي، سلسلة كتاب الهلال، القاهرة، دط، دس، ص 44.
- <sup>18</sup> حديث رواه البزار والحاكم في علومه، والبيهقي.
- <sup>19</sup> المسيري، عبد الوهاب، إشكالية التحيز، فقه التحيز، ص 61.
- <sup>20</sup> جعفر، هشام، فقه التحيز، أعلى مراحل التحرر المعرفي، في عالم عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 93.
- <sup>21</sup> المسيري، عبد الوهاب، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج 2، ار الشروق، ط1، 2002، ص 453.
- <sup>22</sup> مرزاق، أحمد، مفهوم التحيز، دراسة في بعض تحيزات الأستاذ المسيري، مرجع سابق، ص 93.
- <sup>23</sup> بلعقروز، عبد الرزاق، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 75.